اعضاء المجمع العلمي

حياتي

ابي مفتي بغداد محمد فيضي الزهاوي وهو كردي ينتسب الى امراء السليمانية البابان وهؤلاء ينتمون الى خالد بن الوليد وشهرته بالزهاوي هي لان اباه الملا احمد هاجر الى زهاو وسكنها سنين وتزوج بسيدة زهاوية ولدت له ابي فلما رجع الى السليمانية مع نجله ابي اشتهر ابي بالزهاوي .

وأمي السيدة فيروذج من أسرة وجيهة كردية . وقد وُلدتُ في بغداد يوم الاربعاء آخر يوم ذي الحجة سنة ١٢٧٩ هـ الموافق ١٨ حزيران سنة ١٨٦٣ م .

وكنت في صباي أسمي المجنون لحركاتي غير المألوفة وفي شبابي الطائش لخفتي وايغالي في اللهو وفي كهولتي الجريئة لمقاومتي الاستبداد وفي شيخوختي الزنديق لمجاهرتي بآرائي الفلسفية .

تعلمت كثيراً من علوم الاولين والآخرين اما الثانية فولعت بها ونشرت لي المجلات والصحف في مصر وبيروت وبغداد مقالات كثيرة وقصائد وطبعت لي ثلاث كتب اثنان منها فلسفيان والثالث في الرد على الوهابية وسبب تأليفي لهذا سياسي . ونشرت لي في المجلات رسائل مختلفة معظمها فلسفي وطبع لي اول ديوان في بيروت باسم (الكلم المنظوم » وهو مغلوط فيه وقد هذبته اخيراً وحذفت منه ما لم أستجده وأدمجت الباقي في ديواني العام وجعلت مجموع ما نظمته اربعة أجزاء أسميت الثلاثة الاولى « ديوان الزهاوي » وأسميت الرابع منها « رباعيات الزهاوي » وهو يحتوي على الف ومائتين من الرباعيات ومجموع ابيات دواويني الاربعة هو احد عشر الف بيت . ولي رسائل

---

(١) وافانا الاستاذ الزهاوي بترجمته هذه تلبيةً لنداء المجمع الذي طلب من أعضائه تراجمهم باقلامهم فننشر بعضها . وها نحن اولاء ننشر الآن ترجمة الاستاذ الموما اليه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم تطبع بعد منها رسالتان في النور والبصر ورسالة في لعب الداما أودعتها الفاً وخمسمائة لعبة . الف منها من مستنبطاتي . وسميتها « اشراك الداما » .

وعُينت في شبابي عضواً لمجلس المعارف في بغداد ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً عربياً للزوراء الرسمية ثم عضواً لمحكمة الاستئناف وسافرت في اوائل كهولتي الى الآستانة فأبلغ جلالة السلطان عبد الحميد اني ضد حكومته فبثّ عليّ جواسيسه ثم أرسلني صحبة البعثة الاصلاحية واعظاً عاماً لبلاد اليمن ثم أرجعت بعد احد عشر شهراً الى الآستانة فأنعم علي جلالته برتبة « بلاد الخمس الموصلة » ووسام مجيدي من الدرجة الثالثة .

واتصلت باحرارها فزاد جلالته عدد الجواسيس عليّ ثم سجنت وسفرت الى بغداد مخفوراً على ان لا أبرحها وعين لي راتب شهري قدره خمس عشر ليرة واكثر الشعر في ديواني « الكلم المنظوم » هو ما نظمته في بغداد ايام انا مأمور بالاقامة فيها .

ولما أُعلن الدستور عدت الى الآستانة فعينت بعد وصولي بقليل أستاذاً للفلسفة الاسلامية في الجامعة الملكية وأستاذاً للآداب العربية في دار الفنون وقد نشرت مجموعة دار الفنون دروسي التي كنت القيها في الجامعة الملكية باسم « حكمت اسلاميه درسلرى » ثم اشتدّ مرضي الذي كان قد نشب بي أظفاره في شبابي فرجعت الى بغداد معلماً للحجلة في مدرسة الحقوق وأُشير لي بعد برهة في المؤيد مقال دافعت فيه عن المرأة فأثار عليّ الشعب بايغار اعدائي وأرادوا اهانتي او هلاكي ولم أخرج من بيتي اسبوعاً وسعى احدهم الى ناظم باشا وهو يومئذ والي بغداد ليعزلني عن وظيفتي ففعل ودافع عني كبار الكتاب في مصر وسورية وأعادني جمال باشا « والي بغداد بعد ناظم باشا » الى وظيفتي ثم انتخبت نائباً عن المنتفق ثم عن بغداد فذهبت مراراً الى الآستانة وحضرت جلسات البرلمان العثماني وخطبت فيه مرات كثيرة . ولم أبرح يوم سقوطها في الحرب الكبرى وقدّم عدوّ لي تقريراً الى السلطة المحتلة يحسّن فيه ابعادي عن بغداد مع عدد من وجوهها ولكني نجوت ساعة قبضوا عليّ باراءة تي اياهم بطاقة فيها اني مكاتب للقطم اما الباقون فأُخذوا أسرى الى بلاد الهند القاصية .

وكنت أجامل الحكومة المحتلة في خطبي واذكّرها بوعودها مطالباً باستقلالي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البلاد فكانت مجاملتي تغضب الأهلين ومطالبتي ترضيهم . وعُينت في اشهر الاحتلال الاولى عضواً لمجلس المعارف ثم رئيساً للجنة تعريب القوانين العثمانية فعربت سبعة عشر قانوناً بين صغير وكبير .

وحدثت ثورة ١٩٢٠ فلم أشترك فيها لعلمي بوخامة عاقبتها فساء ذلك الاهلين ثم لما استفحل الامر جمع نخامة الحاكم العام السر ولسن مندوبي الشعب الذين انتخبهم في ثورته وجمع معهم نفراً من وجوه بغداد وكنت احدهم وفي ختام المحاورة قمت وصرّحت باشتراكي مع مندوبي الشعب في طلب الاستقلال التام . ولم تنتج المحاورة وفاقاً . ثم قبض على قسم من المندوبين ونفوا وفرّ قسم منهم وبقي قسم مطمئناً في بغداد من غير ان تمسهم يد السيطرة وظن البعض نجاة هؤلاء لان ضلعهم معها .

وجاء نخامة المندوب السامي السر برمي كوكس فوعد وأوعد وخطبت يوم استقباله فطلبت ان يرأف بالناس وقد أخمد نخامته الثورة بالقوة ووعد الاستقلال .

وجمع نخامته النواب السابقين عن العراق مع عدد من وجوه العاصمة والف منهم لجنة لسن نظام انتخاب المؤتمر العراقي وكنت عضواً فيها وصححت النظام بقلمي . ثم الف وزارة برئاسة ضماحة النقيب وهو الشيخ المحترم يتراوح سنه بين الثمانين والتسعين فما وسعه الا ان يأتمر بما يشار اليه .

وبعد قدوم جلالة الملك فيصل بغداد بشهرين ألغيت وظيفتي في العدلية وقطع راتبي وعلمت ان سيقطع كذلك راتبي في المعارف فتركته من نفسي وبقيت بلا راتب بعد ان كنت أتسلّم سبع مائة وخمسين ربية في كل شهر . يا لها من نكبة على من ليس له مال او عقار واستدعيت حق التقاعد فطلبت دائرة الرواتب ان أبرز اوراقي الرسمية المبينة لوظائفي السابقة فقدمتها وبعد ايام مضين على فحصها أفهمني ان ما استحقه هو مائة وخمسون ربية في الشهر فرفضتها لاني وجدتها دون استحقاقي .

واخذت جريدة العراق تنشر لي كل يوم في صدرها احد الرباعيات وفي كثير منها نقد لما كان يجري يومئذ .

وكنت قبل قدوم جلالة الملك والغاء وظائفي قد استدعيت ان يسمح لي بالذهاب الى مصر للتداوي مدة سنة فأقر مجلس الوزراء اعطاء رواتبي تماماً في المدة المذكورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصدّق فخامة المندوب السامي قراره بعد ان اشار الى اضافة مئة وخمسين ربية في الشهر لمدة السنة في مقابلة مصروف الطريق ذهاباً وايباباً فكان ما تعين اعطائي اياه لمدة سنة تسعمئة ربية في الشهر وقد بلغني سكرتير المجلس ذلك شفهياً وهنأني كثير من اعضائه . ولكن فرحتي لم تدم فانهم لم يبلغوني شيئاً من ذلك رسمياً ثم جاء الملك وألغيت رواتبي كما قدمت . وبعد أشهر من الغاء وظائفي وصلني مغلف من البلاط الملكي يبلغني في داخله رئيس الامناء ان قد صدرت ارادة جلالة الملك بتعييني شاعراً له براتب شهري قدره ستمائة ربية أعطاها من صندوقه الخاص فكتبت اليه اني أرفض هذه الوظيفة فلا أريد ان اكون مداحاً تلقاء اجرة أعطاها واني اذا شاهدت ان جلالته يخدم بلادي امدحه على خدماته بدون اجرة وحينئذ يكون اكمالي تأثير اكبر مما اذا مدحته وانا اجير . وأتذكر اني بعد التصريح بالرفض كتبت اليه مانصه : « ومع ذلك فاني لا ازال ذلك العصفور الذي يغرّد بمآثر جلالته إعجاباً بها لا طمعاً بحبات تلقى اليه » .

وقابلني بعد شهور وجيهان من وجوه البلد يقولان اننا مرسلان من البلاط لمفاوضتك فان جلالة الملك يريد اذا وافقتَ ان يصدر ارادته هذه المرة بتعيينك شاعراً له ومؤرخاً للعراق معاً براتب شهري قدره ثمانمائة ربية على ان تتسلم هذا الراتب من تاريخ التكليف الاول « وكان قد مضى عليه اكثر من ستة اشهر » فأجبتهما اما المؤرخية فأقبلها واما الشاعرية لجلالته فلا . فقالا لا يريد جلالته فصلها واصرّا وأوعدني احدهما فلم اخضع .

وصممت الرحيل الى مصر وتهيأت للسفر وعزمت على ان ابيع خربة لي اوارهنها فما تيسر لي ذلك وكنت قد اقتصدت قدراً من الدراهم من راتبي لما كنت ذا راتب يكفيني الوصول الى مصر فراجعت دائرة البسابور وحصلت على جواز السفر وصدقته من القنصلية الفرنسية لاني كنت عازماً على الرحيل من طريق سورية أريد قضاء ايام الصيف الحارّة في لبنان على ان اذهب في الخريف الى مصر التي طالما غنيت باسمها في شعري . غير ان الاضطرابات الاخيرة التي حدثت في سورية (سنة ١٩٢٢) قد سدّت الطريق في وجهي فثبّطت عزمي وما استطعت مضياً وبقيت الصيف كله في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بغداد مؤملاً ان تزول في الخريف فتنفتح الطرق فلما زالت وانفتح الطريق في الخريف قلت قد حان الوقت واذا برجلي قد زلت وانا أتمشى في داري فسقطت على الآجر المرصوف وكُسر عظمان من قدمي اليسرى فلزمت فراشي مدة خمسة اشهر لااستطيع الوقوف عليها ٠

وقد عادني في مرضي هذا كثير من الاصدقاء والاعداء ، اما الاصدقاء فكانوا متألمين لمرضي يتمنون لي الشفاء العاجل والمشي على الرجل كالاول ٠

(وقد أحاول ان اسعى فتمنعني رجل رمتها يد الايام بالشلل)

واما الاعداء فقد كنت أقرأ في عيونهم الفرح لما أصابني ولم يكن مجيئهم اليّ الا ليعلموا درجة الكسر وهل أقوم بعده ٠

(ان الربيع كثيرة أورادُه فاذا انقضى لم يبق من أوراد)

(انمتّ تحزن في العراق أحبة حيناً وتفرح في العراق أعادي)

« رباعياتي »

اما رباعياتي التي جعلتها جزءاً رابعاً لديواني العام فعددها ١٢٠٠ رباعي وقد نظمت اكثر من الف منها في سنة ١٩٢٢ ايام نكبتي في شيخوختي ، ايام أشكو الحياة والعوز والأوجاع المبرحة ، ايام حرمت من خير بلادي التي خدمتها بصدق اكثر من ثلث عصر في وقت انا في اشد الحاجة الى ذلك الخير ، ايام خُيّرت بين العوز والعار فرجحت العوز على العار ٠

(رب مال هو لوشئ ت اقتناء تحت لمسي)

(انما تمنعني عن نيله عزة نفسي)

* * *

(قد أرادوا ان يسيل الـ ـدمع من عيني فسالا)

(ولقد ينبت في تأ ريخهم دمعي سؤالا)

* * *

زعموا انهم ان أجاعوني ذللت ٠ ولكني صبرت على الضيم ٠ وما شكوت الى احد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ما بي . ولما رأوني اني لا أُطأطئ رأسي أوعزوا الى بعض الجرائد ان تسبني وتحط من كرامتي .

(انما الشعر سيد ليس يغضي على القذى)
(حبذا ذلك الإبا ء من الشعر حبذا)

* * *

(انت يا شعر خالد انا يا شعر هالك)
(انت يا شعر كل ما انا في الكون مالك)

* * *

(انا للشعر في العرا ق أدبب مجدّد)
(انا في جنب دجلة عندليب يغرّد)

* * *

وقد كان ما لحقني من الاذى وحرماني من الوظائف من الدواعي لنظم هذه الرباعيات وانك لتسمع فيها شكاتي صارخة وتقرأ دموعي مكتوبة وترى بؤسي وشقائي متمثلين . وما ليلى التي أُغني باسمها في كثير من رباعياتي سوى وطني العزيز الذي احببته فوق كل حب وحاربت من اجله الاستبداد طول تلك السنين .

وقد نظمت كل رباعي مستقلاً بنفسه غير مرتبط بما قبله او ما بعده كما فعل عمر الخيام في رباعياته الفارسية الا بعض القطع تراها في خلالها على وزن واحد وقافية واحدة وهي مع ذلك لم تفقد مزية الاستقلال فهذه استخرجتها من دواوين الثلاثة وألحقتها بها . ثم حسّن لي بعض أصحابي ان اجمع الشيء الى ما يناسبه ففعلت في مدة مرضي وقسمتها الى عشرة اقسام الاول « مشاهد الغرام » والثاني « الواح البؤس والشقاء » والثالث « الشعر والشعراء » والرابع « الهزّ والايقاظ » والخامس « الاخلاق والسجايا » والسادس « السياسة والاجتماع » والسابع « الكون والحياة » والثامن « الوصف والخيال » والتاسع « الشك واليقين » والعاشر « الجدّ والهزل » .

وقد اخذت طرفاً من الدساتير الاجتماعية لجستاف لبون متصرفاً فيه تصرفاً يقربه من النظم وعدد هذا لا يتجاوز الاربعين رباعياً وهو متفرق في الاقسام .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكررت بعض المضامين في اكثر من رباعي حرصاً مني عليه وزيادة ايقاظ للشعب الذي غنيت له او رغبة مني في صوغه في قالب احسن مما صغته قبلاً وهل يضر بالحسناء اذا غيرت آونة بعد أخرى ثيابها للزينة ، او بالروض اذا أنبت من الزهر قسماً يختلف لونه ، ويتشابه عرفه .

وترى في رباعياتي هذه روحي الكئيبة وفلسفتي بارزتين فتفهم منها عني مالا تفهمه من التراجم المطولة وعن بلادي مالا تطلع عليه في تاريخها . ويسرني اني اموت ويموت الذين ضاموني وتبقى هي خالدة على كرّ العصور تشهد بما لاقيته من ظلم الظالمين في حياتي .

بغداد : جميل صدقي الزهاوي